تفسير جزء تبارك

(سورة المعارج)

من كتاب:

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

لِلْشَّيْخُ العَلَّامَة

عَبْدُ الرَّحْمَن بِن ناصِر بِن عَبْدُ اللّه بِن سِعْدِيٍّ

رَحِمَهُ ٱللَّهُ

شَرْحُ فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِين

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلس (١٢)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمان الأكملان عَلَىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الصائمين؛ في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من أعظم نعم الله عَزَّ وَجَلَّ علينا أن جمع لنا بين شهر رمضان وكوننا في مسجد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فشهر رمضان شهر مبارك.

ومن بركته: أن من صام رمضان إيمان احتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد مبارك.

ومن بركته: أن الصلاة في مسجد نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير للمؤمن في ثوابها وأجورها وبركاتها من ألف صلاة فيما سواه.

فهل تعلم أيها المبارك أنك إذا قمت ليلة مع الإمام في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصليت مع الإمام ثلاث عشر ركعة أنك تكون كأنك صليت في بلادك قيام الليل بثلاث عشرة ألف ركعة، ترجع بثواب ثلاثة عشر ألف ركعة لو صليتها في بلادك، هذه ليلة واحدة، فلو كتب الله لك قيام رمضان كله في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنك تكون كأنك قمت ثلاث وثلاثين رمضان في بلادك، يا لها من فضل عظيم، ويا لها من بركة عظيمة، ركعة في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير لك من ألف ركعة في بلادك، فتؤجر على ما يزيد على ألف ركعة في بلادك، فهذا فضل عظيم.

ومن بركة هذا المسجد: أن من طلب العلم في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان مجاهدًا في سبيل الله، فأنت يا أُخي وأنت تجلس في الحلقة تطلب العلم يجري عليك أجر المجاهد في سبيل

الله، ويصدق عليك أنك صمت يومًا في سبيل الله، ومن صام يومًا في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا، ومن جاء إلى مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتعلم خيرًا أو يعلمه كان له كأجر حاج تام حجته، وفي بعض الروايات: كان له كأجر عمرة، وعمرة في رمضان كحجة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أأدركتم معاشر الأحبة عظم النعمة علينا، نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقنا شكرها، وأن يجعلنا من المسلمين الطائعين المتأدبين في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معاشر الفضلاء الأكارم؛ نواصل درسنا في التفسير؛ حيث نفسّر جزء تبارك في شهر رمضان لهذا العام، ونشرع اليوم في تفسير سورة المعارج.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝٢ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ١ - ٧].

سورة المعارج سورة مكية باتفاق العلماء، وموضوع سورة المعارج: (عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ الواقع في المعرضين عن الحق، المدبرين عنه، وقدرة الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك، وبيان حال الناس المفلحين والخاسرين)، ففي هذه السورة بيان عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ الواقع بمن يستحقه بسبب إدباره عن الحق، وإعراضه عن الحق، وبيان أن الله عَزَّ وَجَلَّ قادر على ذلك فهو سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأيضًا بيان حال الناس من جهة الفلاح والخسران.

فالناس لا شك منهم مفلحون، ومنهم خاسرون، وفي هذه السورة بيان للفريقين في هذه الآيات التي استمعناها يخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أنّ سائلًا من الكفار دعا واستعجل بعذاب توعد الله عَزَّ وَجَلَّ الكافرين به، وتوعدهم بذلك رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال ذلك الكافر: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]، أو أن كافرًا من الكفار سأل عن ذلك العذاب الذي توعد الله به الكفار والمعرضين، وتوعد به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الكفار والمعرضين متى سيقع ذلك العذاب؟ استبعادًا لوقوعه، فأخبر الله عَزَّ وَجَلَّ أن هذا العذاب المتوعد به واقع لا محالة، وسيقع بالكافرين يوم القيامة، لا يستطيع أحد دفعه قبل وقوعه،

ولا رفعه بعد وقوعه حتى لو اجتمع الكفار جميعًا، ما استطاعوا أن يدفعوا شيئًا منه، ولا أن يرفعوا شيئًا منه، إذ هو عذاب من الله الذي هو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو سبحانه العلي الأعلى فوق خلقه أجمعين، وليس فوقه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو سبحانه ذو المعارج الذي تعرج إليه الأعمال والأرواح عند قبضها، والملائكة عند نزولها إلى الأرض ثم صعودها إلى السماء، فالله سبحانه تعرج إليه أعمال عباده، وتعرج إليه أرواح عباده، وتعرج إليه الملائكة إذا نزلت إلى الأَرْضِ، ثم صعدت بعد ذلك، ومن الملائكة جبريل عليه السلام أشرف الملائكة، وأفضل الملائكة الذي ينزل بالوحي على الأنبياء ويصعد إلى السماء، ومن ذلك الأمر المهيب العظيم الذي يكون يوم القيامة في ذلك اليوم العظيم، حيث يرى الناس الملائكة في خلقتها العجيبة وصورتها الحقيقية تصعد وتنزل في ذلك اليوم وتقف في صفوفها، ومعهم جبريل عليه السلام وذلك في يوم مقداره خمسون ألف سنة، وهو كذلك على الكفار.

إن مقدار ذلك اليوم على الكفار خمسون ألف سنة، لكن الله الرحيم بالمؤمنين يخففه على الموحدين المؤمنين فيكون في حقهم كما بين الظهر والعصر، وهذه رحمة الله بأهل الإيمان، كما قال نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»** رواه الحاكم وصححه الْأَلْبَانِيُّ.

فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن بين ذلك؛ أعني وقوع العذاب على أعدائه: فاصبر يا رسولنا على جهلهم واستهزائهم صبرًا جميلًا مع اليقين بوعد الله ووعيده، ولا تسخط في هذا الصبر واستمر في دعوتك وتبليغ رسالتك وأمر الناس بالتوحيد وأنهم عن الشرك وأنذرهم ذلك اليوم وأعرض عنم الجاهلين، فإنك على الحق المبين وما توعد الله الكفار به واقع لا محالة، وأولئك الكفار لجهلهم وسخافة عقولهم يرون يوم القيامة والبعث بعيدًا يستحيل وقوعه.

والله عَزَّ وَجَلَّ يعلم أنه قريب لأنه واقع لا محالة، وكل آت قريب، والمؤمنون يعلمون أنه واقع قريبًا لأنهم يصدقون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويصدقون رسولهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو المعنى الموضوعي الإجمالي الإيماني لهذه الآيات، ثم نعود إلى التفسير التفصيلي فنقرأ ما سطره الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره ونعلق عليه.

(المتن)

قَالَ الإمام العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: يقول تعالىٰ مبينًا لجهل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتا وتعجيزًا:

﴿سَأَلَ سَايِلٌ﴾ [المعارج: ١] أي: دعا داع.

(الشرح)

فمعنى سأل دعا، ما سأل عنه وإنما دعا وطلب نزوله، دعا داع واستفتح مستفتح واستعجل مستعجل.

﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ﴾ [المعارج: ١، ٢]، أي بعذاب واقع لا محالة، ودخلت الباب على العذاب لأن الفعل سأل ضمن معنى استعجل، ومن أساليب العرب أن الفعل يضمن فعلًا آخر، فسأل هنا ضمن استعجل، أي استعجل بعذاب، ولذلك دخلت الباء على العذاب، فهو لا يسأل وقوعه فقط، بل يسأل ويطلب وقوعه عاجلًا، وقال بعض المفسرين: سأل سائل أي استخبر سائل عن العذاب المتوعد به، متى يقع، وعلى من يقع، على سبيل الاستهزاء والاستبعاد.

إذًا ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] هنا قال بعض العلماء معناها دعا، ومن الذي دعا؟ قال أكثر المفسرين: كافر من الكفار، دعا وطلب وقوع هذا العذاب، استهزاء واستبعادًا، وقال جماعة من المفسرين: إن الذي دعا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي دعا ربه أن ينزل العذاب على هؤلاء الكفار المستهزئين، لكن هذا القول بعيد، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن يدعو على قومه، بل كان يصبر رجاء أن يؤمنوا وأن يخرج الله من أصلابهم من يؤمن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا القول وإن قاله جماعة من المفسرين إلا أنه بعيد، أو معنى سأل استخبر واستفهم، أي أن أحد الكفار استخبر واستفهم عن هذا العذاب.

(﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ﴾ [المعارج: ١، ٢] لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم)، ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝ لِلْكَافِرِينَ﴾ [المعارج: ١، ٢]، انظروا اللام، قال العلماء: أي أنه مرصد للكافرين معد للكافرين، ولذلك جاءت اللام، أو تكون اللام بمعنى على، لأنكم تعرفون عند العرب حروف الجر ينوب بعضها عن بعض إلا إذا وجد مانع، فتكون اللام هنا بمعنى على، على الكافرين، فإما أن يكون المعنى معد للكافرين فتكون اللام على بابها، أو يكون المعنى: واقع على الكافرين فتكون اللام هنا بمعنى على.

(المتن)

﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۝ مِنَ اللَّهِ﴾ [المعارج: ٢، ٣] أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متمردي المشركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا النضر بن الحارث القرشي أو غيره من المشركين فقال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] إلىٰ آخر الآيات.

فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلىٰ الآخرة.

(الشرح)

أما عذاب الْآخِرَة؛ فهو حاصل وواقع، ولا بد من وقوعه، ولا يجوز أن يقال: يمكن أن يدخل الله جميع الناس الجنة، هذا رد للنصوص الكتاب والسنة، الله عَزَّ وَجَلَّ أخبرنا أن هناك أقوامًا يدخلون النار ويعذبون بكذا ويفعل بهم كذا ويفعل بهم كذا، وهذا والله واقع، لا نشك فيه شعرة، نحن نؤمن به إيمانًا جازمًا، وأما تعجيل العذاب في الدنيا فقد يعذب الله الكفار بأيدي المؤمنين، وقد ينزل بهم ألوانًا من العذاب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد لا يقع ذلك، وهذا كله بحكمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فلو عرفوا الله تعالىٰ، وعرفوا عظمته، وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولاستسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالىٰ من عظمته ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣، ٤] أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق.

(الشرح)

أي قيل أن: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، معناها ضو الفواضل والعلو، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رفيع الدرجات، عالٍ بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على جميع خلقه، وقيل: معنى ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، **أي:** ذو المعارج الذي تعرج إليه الأعمال في معارج بين الأرض والسماء، وتعرج إليه الأرواح عند قبضها في معارج، وطرق بين الأرض والسماء، وتعرج إليه الملائكة إذا فرغت مما أسند إليها في الأرض، في طرق بين السماء والأرض، فهي تعرج إليه بتدبيره سبحانه وأقداره، وإلا فهذا العروج غير ممكن، إلا أن الله أقدر على ذلك، فهو سبحانه على كل شيء قدير.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها علىٰ تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها.

(الشرح)

أي كل روح، كل روح تقبض تعرج إلى السماء.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها، برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلىٰ الله، فيؤذن لها من سماء إلىٰ سماء، حتىٰ تنتهي إلىٰ السماء التي فيها الله عَزَّ وَجَلَّ، فتحيي ربها وتسلم عليه، وتحظىٰ بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام.

(الشرح)

أي: أن الروح الطيبة التي طابت بالتوحيد ولطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ بعد أن تقبضها الملائكة وتضعها في الكفن من الجنة والحنوط من الجنة تعرج بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان بأطيب أسمائه، فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، وما من ملأ من الملائكة إلا وهو يسأل الله أن يعرج بهذه الروح من جهتهم، ثم يستفتح لها في السماء الثانية فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان بن فلان بأطيب أسمائه التي كانت في الدنيان فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، ثم هكذا في السماء الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة وَالسَّابِعَةُ حتى تبلغ ما ينتهي إليه المخلوق، فيثنى عليها وتبتهج بما يَكُوْن.

ثم يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح الطيبة كريمة إلى الأرض، هذه أرواح الأبرار الذين طابت نفوسهم بالتوحيد، يا إخوة يا أحبة أغلى ما نملك على الإطلاق التوحيد، والله والله لا أغلى من التوحيد، الدنيا كلها لا تساوي شيئًا من التوحيد، النفوس التي طابت بتوحيد ربها وبالحرص على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تكرم هذا الإكرام العظيم عند خروجها.

يا إخوة سبحان الله حال المؤمن عجيب، حال المؤمن عجيب، وهو ينازع السكرات، وتخرج الروح يبشر، والروح لازالت في جسده وأهله حوله يبكون، يقال: أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يُقَال لها ذلك وهي في الجسد حتى تخرج، فعند ذاك عندما يقال لها: أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان إذا سمعت هذا أحبت لقاء الله، إذا بشر المؤمن بهذه البشارة العظيمة أحب لقاء الله فأحب الله لقائه، ثم تعرج روحه كما ذكرنا.

(وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلىٰ السماء استأذنت)، يعني إلى السماء الدنيا، إذا وصلت إلى السماء الدنيا، الروح الفاجرة التي تقذرت بالشرك وبما يغضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينزل إليها الملائكة بكفن من النار وحنوط من النار، فيقال لها: أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، خبثها صاحبها، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج، فإذا سمعت هذا انتشرت في الجسد، فتخرج تتقطع معها العروق، كما يخرج السفود من الصوف المبلول، فإذا خرجت أخذها الملائكة فوضعوها في هذا الحنوط وهذا الكفن، وخرج منها ريح خبيثة، وتعرج بها الملائكة إلى السماء، وما من ملأ من الملائكة إلا وهم يستعيذون من هذه الروح.

حتى إذا بلغوا السماء الدنيا قالوا: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان بأخبث أسمائه في الدنيا، فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج فلا يؤذن لها، ولا تفتح لها أبواب السماء، فيول الله: اكتبوا كتابه، انظروا يا إخوة الروح الطيب يقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، أما هذه الروح الخبيثة فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ما ينزلها الملائكة، تطرح روحه طرحًا، فيكون ما يكون في القبر.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فإذا وصلت إلىٰ السماء استأذنت فلم يؤذن لها، وأعيدت إلىٰ الأرض.

ثم ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والأرواح إلىٰ الله.

(الشرح)

الروح ذكر الشيخ أنه اسم جنس للأرواح، أي أروحا بني آدم، كل روح من أرواح بني آدم، وقال جماعة من المفسرين: الروح هنا هو جبريل عليه السلام، الذي هو أفضل الملائكة وأشرف الملائكة

فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾[القدر: ٤]، أي جبريل عليه السلام، ولا مانع من الأمري، فتعرج إليه سبحانه الملائكة ومنهم جبريل عليه السلام وتعرج إليه الأرواح على ما ذكرنا.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم ذكر المسافة التي تعرج فيها الملائكة والأرواح إلىٰ الله، وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة علىٰ السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلىٰ وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من الملأ الأعلىٰ.

(الشرح)

يعني أن هذه المسافة هي مسافة عروج الأرواح وعروج الملائكة وعروج الأعمال من الأرض إلى ما دون العرش، إلى آخر نقطة يبلغها المخلوق، ما مقدار المسافة بين الأرض وآخر نقطة يبلغها المخلوق دون العرض؟ قالوا: خمسون ألف سنة، مقدار خمسين ألف سنة، وهذا لا يستطيعه مخلوق إلا بأقدار الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكل هذا يدل على عظيم قدرة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله الذي أقدر هذه المخلوقات على أن تعرج من الأرض إلى السماوات في لحظات يسيرة، قادر على أخذ الكفار، وعلى تعذيب الكفار.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولىٰ خلقه وتدبيره العلي الأعلىٰ، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره وإحسانه، ما عمهم وشملهم وأجرىٰ عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي.

(الشرح)

العلماء يقولون: الأحكام ثلاثة، بعض أهل العلم يقولون: الأحكام ثلاثة: الحكم القدري بقضاء الله قدره، والحكم الشرعي الطلبي، والحجكم الجزائي أي الثواب والعقاب على الأعمال، والله عَزَّ وَجَلَّ أجرى أحكامه على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: فبؤسًا لأقوام جهلوا عظمته، ولم يقدروه حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب علىٰ وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أهملهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم.

(الشرح)

(وآذوه)، أي أن هؤلاء قد آذوا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بتكذيبهم له، ولرسله، وبكفرهم برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأذيتهم لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين، والأذى أخف الضرر، فهو يطلق على ما خف أمره وضعف أثره، العباد لا يضرون الله عَزَّ وَجَلَّ، لكنهم يؤذون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بهذا الذي ذكرنا الكفر والتكذيب للرسل والأذية للمؤمنين، ومع ذلك يصبر عليهم، ويعافيهم، ويرزقهم، بل من كرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجيب دعاء المضطر منهم، سبحانه كريم رؤوف حليم رحيم رحمن، وهو سبحانه سريع العقاب، شديد العقاب، قوي عزيز متكبر، قاهر قادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل علىٰ هذا، ويحتمل أن هذا في يوم القيامة.

(الشرح)

وهذا الذي عليه أكثر المفسرين، أن اليوم الذي كون مقداره خمسين ألف سنة هو يوم القيامة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: وأن الله تبارك وتعالىٰ يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمته وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل علىٰ معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشئون الربانية، في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة.

(الشرح)

كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمن لا يؤدي زكاته وتعذيبه في ذلك اليوم، قال: «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ»، والحديث عند مسلم في الحديث، وهذا

الحديث نص على أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، لكن كما قلنا: يخفف عن أهل التوحيد والإيمان، حتى يكون في حقهم كما بين الظهر والعصر.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالىٰ يخففه علىٰ المؤمن.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] أي: اصبر علىٰ دعوتك لقومك صبرًا جميلا لا تضجر فيه ولا ملل.

(الشرح)

ولا انقطاع عن الدعوة، لا تضجر فيه ولا ملل ولا انقطاع عن الدعوة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: بل استمر علىٰ أمر الله، وادع عباده إلىٰ توحيده، ولا يمنعك عنهم ما ترىٰ من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر علىٰ ذلك خيرًا كثيرًا.

(الشرح)

وفي هذا توجيه للدعاة إلى الحق إلى التوحيد والسنة، إلى ما ينفع الناس أن يصبروا على ما يجدونه من أذى الناس، فإن العادة أن الناس أعداء من خالف عادتهم، أن الناس يعادون من يخالف ما ألفوه، حتى لو كان ناصحًا لهم، حتى لو كان محبًا لهم، حتى لو كان شفيقًا عليهم، فينبغي على الداعية الموجه أن يصبر على أذى الناس صبرًا جميلًا، لا تسخط فيه، ولا ملل، ولا انقطاع عن دعوة الناس إلى ما يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تغيير لشيء من الدين ليرضي الناس، بل يثبت ويدعو الناس إلى ما يريده رب الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يجعله عداء بعض الناس له يغير في دين الله ليرضيه، بل يثبت على دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا الأذى وقلة المستجيب ينبغي ألا يشكك الداعية في دعوته، بل عليه أن يصبر ويستمر على الدعوة ولا ينقطع عن دعوته لكثرة المخالفين وقلة المستجيبين.

هو بهذا يسير على طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولله حكمة والله ما تحرك متحرك في الكون إلا بحكمة، وما سكن ساكن في الكون إلا بحكمة، لله حكمة فعلى الداعية أن يطمئن، بل على المؤمن عمومًا أن يطمئن فالكل بعدل وحكمة، والله لا يكون شيء إلا وفيه عدل وحكمة، لأن الله

عدل لا يظلم أبدًا، والله الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا عرفت أيها المؤمن أن أقدار الله النازلة بعدل وحكمة فإن قلبك يطمئن، وترتاح، وتعيش حياة طيبة، وهذا لا يكون إلا للمؤمن، المصدق الذي على يقين من عدل ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ومن حكمة ربه.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝﴾ [المعارج: ٦، ٧] **الضمير يعود إلىٰ البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب.**

(الشرح)

يعني إن الكفار يرون يوم القيامة وما أخبرتهم مما يقع فيه مستبعد الوقوع، أي أنه محال الوقوع، مستحيل أن يقع.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكرة، حتىٰ تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبًا.

(الشرح)

(**والله يراه قريبًا**)، نراه أي الله عَزَّ وَجَلَّ، لماذا قال: نراه مع أن علم الله جزم؟ قالوا: من باب المقابلة، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ [المعارج: ٦]، أي يظنونه لجهلهم، ﴿وَنَرَاهُ﴾ [المعارج: ٧] مقابلة، ومعنى نراه في حق الله نعلمه، نعلم وقوعه ووقت وقوعه حيث لا يعلم ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أعني وقت وقوعه، والمؤمنون يرونه قريبًا بتصديقهم لله عَزَّ وَجَلَّ، ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: والله يراه قريبًا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب.

(الشرح)

وبعض المفسرين قال: ﴿وَنَرَاهُ﴾ [المعارج: ٧] أي يراه المؤمنون قريبًا، لماذا؟ قالوا: لأن الله عَزَّ وَجَلَّ علمه جزم وليس رأيًا، لكن الحقيقة الأمر كما قلت الظاهر ولا إشكال فيه، نراه أي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

يراه، ومعنى يراه يعلمه، ولماذا عُبر بـ "نراه" هنا؟ من باب المقابلة، وبهذا نكون انتهينا من تفسير الجزء الأول من الآيات.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾
يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ٨ - ١٨].

في هذه الآيات الكريمات يُبين الله عَزَّ وَجَلَّ وقوع يوم القيامة وبعض ما يكون في ذلك اليوم من أهوال، يوم تكون السماء التي هي أشد خلقًا من الناس بناها الله عَزَّ وَجَلَّ وسواها وشدها وقواها، تلك السماء القوية تكون في ذلك اليوم كأنها سائلة كالرصاص والذهب والمعادن التي تسخن عليها النار فتسيل من شدة السخونة، وذلك لكثرة تشقق السماء في ذلك اليوم، وتفتر السماء في ذلك اليوم لهيبة الله عَزَّ وَجَلَّ، والإشفاق من غضب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما في ذلك اليوم من أهوال شديدة، وتكون الجبال القاصية كالصوف المنفوش، حيث تدك وتفتت تفتيتًا، فينسفها الله نسفًا، وتصير هباء، وتختلط بالأرض، وفي ذلك اليوم العظيم الذي يذهل فيه الناس عن أحبابهم حتى تذهل الأم عما ترضع، فلو كانت معها رضيعة ترضعها لذهلت عَنْهَا.

في ذلك اليوم لا يسأل قريب قريبًا، ولا صاحب صاحبًا عن حاله وشأنه مع أنه يراه في أسوأ حال، ولا يسأله أن يحمل عنه شيئًا، ولا يطلب منه أن يحمل شيئًا من ذنبه، فكل مشغول بنفسه، ويحب السلامة لنفسه، فالقريب يرى قريبه، الأب لأولاده يتبدل قلبه ويتمنى أن يفدي نفسه من عذاب الله ببنيه، بل وبزوجته معه التي كان يحبها ويودها في الدنيا وبإخوانه وأخواته، وعشيرته كلها التي كانت تضمه في الدنيا وتنصره وينصرها، وتحميه ويحميها وتقف معه في شدته، بل ومن في الأرض جميعًا من البشر والحيوانات والقنوت والأموال، المهم أن ينجو هو.

يتمنىٰ لو يستطيع أن يفدي نفسه بكل هذا، لكن كلا لم يكون، ولو كان لما نفع، فلا قرابة تنفع، ولا فداء يقبل في ذلك اليوم، فلا ينتظر المجرم في ذلك اليوم إلا لظىٰ جهنم التي تلتهب، ويشتد حرها، التي من شدتها تنزع جلدة الوجه والرأس إذا ألقي فيها أهلها منكوسين علىٰ رؤوسهم، أول من تلقىٰ

الرأس والوجه فتنزع جلدة الوه، وتنزه فروة الرأس، وتتطاير اليدان والرجلان، تنزع اليدين من مكانهما، والرجلين من مكانهما، ثم ترجع إلىٰ مكانها، ثن تصل إلىٰ داخل جوف الإنسان فتصل إلىٰ قلبه وتصل إلىٰ ما في بطنه، تنزع كل هذا، وهي في يوم القيامة وترىٰ أهلها، وتعرف أهلها بأسمائهم، فتنادي الذين تركوا الحق وأعرضوا عنه بأسمائهم إليها أن هلموا، تراهم من بعيد، فتنادي كل واحد باسمه تعال هلم، فالنار تدعوهم والملائكة يدعونهم، يدفعونه، حتىٰ تكب وجوههم في النار بكل ذلة ومهانة.

إنه والله كائن، إنه والله لحق اليقين، إن أقسم بالله أن هذا سيكون، معاشر الفضلاء الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا ما طلب منا إلا اليسير، سبحانه أمرنا بما فيه خيرنا، وضاعف ثوابنا ونهانا عما فيه شرنا والله ما نهى الله عن شيء إلا وفيه شر لنا، وجعل السيئة بمثلها وفتح لنا باب التوبة بالتوحيد، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، والتوبة إذا وقعنا في حرام، أمر يسير على من يسره الله عليه، لكن الذي يغفل ويدنس نفسه ويخبث نفسه يوم القيامة يتمنى لو ينجو من عذاب الله بأن يفتدي نفسه بالدنيا كلها، سبحان الله الآن يفعل الحرام من أجل لذة ساعة، من أجل كم؟ مليون؟ عشرة ملايين؟ يوم القيامة يتمنى لو يقدم فداء الدنيا كلها ببشرها وحيواناتها وكنوزها وأموالها.

فالله الله معاشر المؤمنين الله الله، لنتقي الله، لنعمل بطاعة الله على نور من الله نرجو ثواب الله، ولنترك معصية الله على نور من الله نخاف عذاب الله، نُقبل على الطاعات، وننكب عن المحرمات، فإذا ذلت القدم بادرنا بالاستغفار والتوبة.....

(الأسئلة)

السؤال: ....

الجواب: .... من طعام البلد من الأرز عندنا كيلو ونصف، فإن زاد معه إدامه من الدجاج أو اللحم فهذا كمال، وليس واجبًا، أمَّا إذا كان مطبوخًا فإن الَّذِي يكفي ليشبع الشخص المعتاد، الذي يكفي في العادة ليشبع الشخص المعتاد، فهذا هو الإطعام عن كل يوم لا تصومه، **وهل تقضي؟**

الجواب: لا، حقها الإطعام هي إن تحاملت فصامت أجزئ عنها، فإذا أطعم عنها ما تحتاج إلى قضاء.

السؤال: هذا امرأة تقول: أنها أنجبت قبل ثلاثة أَشْهُرٍ، وهي الآن مرضع، تقول: أنها ينزل منها نقطة دم في اليوم الأول وفي اليوم ثاني تغتسل وتصلي، واليوم الثالث ينزل نقطة دم كذلك لمدة ثلاثة عشر يومًا ثم يتوقف أسبوع ثم عاد في أول رمضان؟

الجواب: هذه الأخت أولًا هي أعلم بنفسها، هل من عادتها أنها إذا أرضعت لا يأتيها الحيض أو لا؟ ثم ينبغي أن تراجع الطبيبة لتعرف هل هذا دم فساد أو دم حيض، والأصل أن ما ينزل على المرأة في أيام حيضها يكون حيضًا، إلا إذا علمنا خلاف ذلك، فالأصل أنه حيض، ولو كانت حاملًا على الراجح من أقوال العلماء، ولو كانت مرضعًا على الراجح من أقوال أهل العلم، لكن في مثل هذه الحال نقول: راجع الطبيبة، لأنها أعرف، فإذا قالت لها الطبيبة الحاذقة: لا، هذا ليس حيضًا هذا دم فساد فهو دم فساد، وإذا قالت لها: إنه حيض فإنه حيض، وإذا لم تعرف فإن الأصل أنه حيض إذا كان في وقت الحيض والذي تعرفه المرأة.

السؤال: هذا يقول: أنه تجاوز الميقات ولم يعقد النية إلا بعد خمس دقائق، يقول: أنها كانت في باله ولكن لم تحرك بالسيارة نسيها، هل عليه شيء؟

الجواب: **النية للمعتمر نوعان:**

النوع الأول: نية إرادة عمرة، وهذه تحصل للإنسان وهو في بيته، عندما يتهيأ هو يريد العمرة.

والنية الثانية: نية الدخول في النسك، بحيث يعتبر نفسه محرمًا يجتنب محظورات الإحرام، وهذه الغالب على الناس أنهم يؤخرونها إلى الميقات، وهذه السنة، فإذا كان هذا الأخ ما نوى قبل الميقات، أعني الدخول في النسك، وأراد أن ينوي في الميقات ثم لم ينوي، لم تحل منه النية حتى أبعد عن الميقات،

فإن الميقات مكان معلوم، مثلًا ميقاتنا في الدينة ذو الحليفة هو المسجد على طرف الوادي ثم الهضبة العليا التي تحيط بالمسجد، وأنت في المسجد إذا نظرت يمينًا أو شمالًا ترى مرتفعًا يحيط بالمسجد هذا من الميقات، فلو أن الإنسان ما نوى عند المسجد، لكن عندما صعد على هذا المرتفع سواء جهة المستشفى أو من جهة خط الهجرة على المرتفع فقد نوى من الميقات.

أما إذا تجاوزه حتى ترك هذا المَكَانْ؛ فإنه يجب عليه أن يرجع إلى الميقات قبل أن ينوي، وينوي من الميقات، فإن لم يرجع ونوى بعد أن تجاوز الميقات؛ فعليه دم ذبيحة تُذبح، وتُوزّع على فقراء مكة، فإن كان فقيرًا لا يملك قيمة الدم؛ فإنه يصوم عشرة أيام، هذا مذهب جمهور الفُقَهَاء، وهو الراجح لثبوته عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبناء عليه يا أخي إذا كنت في محيط الميقات، لكن ليس في المسجد المبني في الميقات، وأحرمت فقد أحرمت الميقات، أما إذا تركت الميقات وراءك، فإن رجعت قبل أن تحرم، وأحرمت من الميقات في شيء عليك بالإجماع، أما إذا أحرمت ونويت بعد ما تجاوزت الميقات؛ فعليك دم إن كنت قادرًا على

بارك اللهُ في الجميع، وأسعد اللهُ الجميع، وتقبل الله من الجميع، وجعل هٰذِه الأيام والليالي مباركات عَلَىٰ الجميع.

واللهُ تَعَالَى أَعْلَى وأَعْلَمُ، وَصَلِّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّم.